" فَــلْسَفَةُ الــمَعْــنَى: العِلاَج بالمعنَىَ الــمُتسَامِي"

أحـــمد الحـــمْدِي

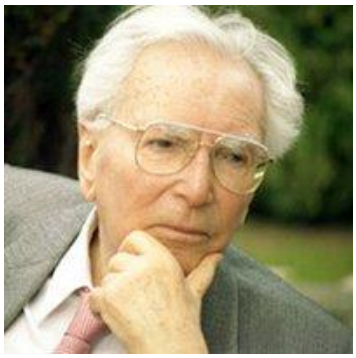

فيكتور فرانكل(1905م- 1997 م)

" عُــمْــق":

"الوجودُ الإنساني هُو بالضَّرورة تسامٍ بالذَّاتْ وتجاوزٌ لها أكثر من أن يكُون تحقيقاً للذات!"[1].

فــيكتور فــرانكل(1905م- 1997 م)[2]

بِــدَايــَــةً:

هَــل يستطيعُ الإنسان أن يتمسك بالحياة ولا يستسلم في وســط الألم والعذاب الشديد المحيطين به من كل جهة، بل ويختار الحياة ويجد لها معنى؟!

من تجربةٍ شخصيةٍ، إلى أهم مُشكلٍ في الوجــود الإنــساني:"**مُــشْكِلْ اَلمعْنى**"أو قُلْ مشكل"**إرادة المعنى**" هذه الإرادة المساوقة لــ:" **إرادة اللَّذة**"ومبــدأ اللذة اللَّذَيْنِ تمركزَ حولــَهُمَا علمُ النفس الفرويدي؛ وهــي كــذلك مــساوقة

---

1 " الإنَسان يبَحثُ عَن المعْنَى " د. فيكتور فرانكل ، ترجمة: د/طلعــت منــصور، دار القلــم – الكويــت، ط:الأولى: ١٩٨٢م. (٢١٥صفحة). (ص: ١٤٧).

2 عالم وبروفيسور نــمساوي، يعتبر زعيم المدرسة النمساوية الثالثة بعد فرويد، و آدلر في العــلاج النفــسي؛ كان مَعْلَمُهُ الجديد عن أسلافه هو:" العلاج بالمعنى". دخل تجارب شخصية-فضلا عن صدمته بوالده ووالدته وأخــوه وزوجته اللذين قتلوا جميعا في معسكرات، و أفران الغاز النازية- عانى خلالها من التهميش في المعتقلات لمــدة ثــلاث سنوات، كانت الشرارة المحفزة له للاهتمام الفلسفي، في العلاج النفسي الوجودي. انظر ســيرتهُ مــثلا في : (http://webspace.ship.edu/cgboer/frankl.html) أو معهــــــد فيكتــــــور فرانكــــــل: (http://logotherapy.univie.ac.at/d/person.html) أو مقدمة الكتاب لجوردون أولبورت.

PDF created with pdfFactory trial version www.pdffactory.com

لـــ:"**إرادة القوة**"ومبدأ القوة اللَّذَيْنِ تمركزَ حولـــَهُمَا علم النفس الآدلري-(نـــسبة إلى: آدلـــر)[3]- ينطلقُ عَالِمُ النفس الفلسفي فيكتور فرانكل في كتابـــه:"**الإنَـــسان يبَحثُ عَن المعْنى** " الباحث فيه عن سبل العثور عن المعنى لهذه المفردة الوجوديـــة المتعالية بدايةً وغايةً.

غدا فرانكل رمزا لأهم حركة في علم النفس المعاصر: ما يُعرفُ بالعلاج الوجودي الفلسفي: أحد كبرى علائق البحث الابـــستيمولوجي الفلـــسفي في التحليل النفسي الوجودي[4] والذي يعتبر حقلا من الحقول الخصبة لبذور مـــداخل النظر التجديدي في : ماهوية/وظاهرية الوعي النفسي، حسب منطـــق **هـــسرل** الظاهراتي، الساعي إلى الإدراك المتعالي للظاهرات الإنسانية.

السَّعيُ لإفرَاغِ الوُجُودِ الإنسَاني:

عندما يفقد الإنسان الثقة يكون سلوكه فاقدا لإرادة الحياة، فاقدا لكل مقدرة على المواصلة[5] التي تعطيه المعنى المتسامي، كيف تكون الحال ســـوياً إذا لم يرَ في الوجود سوى النقطة السوداء المعتمة التي تعكر صفو الحياة من كل ما هـــو جميل، ومن كل ما هو بريء، ومن كل ما هو متسامي؟!.

---

[3] الإنسان يبحث عن المعنى(ص:١٣١).

[4] حيثُ يقولُ منتقدا قصورَ نظرة الطب النفسي لإدراكِ تسامي الإنسان: " حـــاول الطب النفسي أن يفـــسر العقل الإنساني، على أنه مجرد نظام آلي" ميكانزم" وعلاج الأمراض العقلية علـــى أســـاس تكنيكـــي/ تقـــني: وأعـــتقدُ أن هذا الحلم قد تَـــبَـــدَّد !... ولسوفَ يعترفُ هذا الأخصائي الفني بأنه لا يرى في مريـــضه شـــيئا أكثر من"ماكينة"! بدلا من أن يرى الكائن الإنساني المتسامي الذي يقف خلف المريض! فالكائن الإنساني لـــيس شيئا واحداً، بل أشياء أخرى! " أ.هـــ(م.س. ص:١٧٦،١٧٧)بتصرف.

[5] (م.س. ص:٢٧).

PDF created with pdfFactory trial version www.pdffactory.com

يصل القهر بفرانكل وزملائه إلى الذروة في المعتقل الذي جعله يتساءل عن عجائب تصرفاته غير القابلة للتفسير الطبي والنفسي السائد، الأمر الذي يجعل من هذه التصرفات في تلك الظروف المريرة، مُكَذِّباً للنظريات التي يضعها من لم يخوضوا التجربة الحقة؛ ففي خضم هذه التجارب المريرة ينام فيها فرانكل بجانب تسعة أشخاص ببطانيتين في صقيع البرد دون أن يمرض، ولا يغسل أسنانه لمدة طويلة ومع ذلك تبقى خلالها الأسنان واللثة أقوى من ذي قبل، ولا يجد فرصة للاغتسال لعدة أيام بسبب تجمد الماء في الصنابير ويبقى خلالها الجلد صلدا رغم التقرحات والقذارة من العمل في التراب، ورغم ما يراود الجميع من فكرة الانتحار التي هي الرسالة الأخيرة للإعلان عن العجز والإفلاس في مواصلة البحث عن المعنى والتسامي والدفاع عنهما، يصبح توقع الحياة ضئيلا للغاية؛ حتى أن غرف الغاز وهي المرعبة فقدت بدورها القدرة على الإخافة والاستفزاز في هكذا ظروف!. الآن يُصبح لمقولة:"**دوستويفسكي**" معناها العميق هنا:" **الإنسان كائن حي، بمقدوره أن يتعود على أي شيء!**"؛ لكننا نقول لدوستويفسكي:" نعم، يستطيع الإنسان التعود على أي شيء، **ولكن لا تسألْنا كيف يتأتى ذلك؟! فبحوثنا النفسية لم تصل بنا حتى الآن إلى تفسير ذلك!**؟"[٦].

عالم متوحش يطلب منك أن تكون ورديَّ اللون باستمرار، يطلب منك أن تعمل بمقياسه الرقمي الوحيد: أن تُظْهِرَ قدرةً كافيةً في العمل والإنتاج، والاستهلاك!، وأن لا تَعْرُجَ أثناء المشي[٧] وإلا فلو لوحظ ذلك عليك فسيكون مصيرك غرف الغاز لتتبخر مع تلك المداخن!.

كيف تواجهُ كل هذا بـ:ابتسامة، تتسامى من غير سذاجة بحثا عن المعنى! لم لا و"**رَدُّ الفعل غير السوي، إزاء موقف غير سوي، هو هنا استجابة سوية!**" فمثلاً

---

[6] (م.س. ص:٣٨-٣٩)بتصرف.

[7] (م.س. ص:٤٠).

PDF created with pdfFactory trial version www.pdffactory.com

من يُحَوَّل إلى مستشفى للأمراض العقلية، سيكون لهذا التحويل ردود أفعال غير سوية **هي: مقياس درجة سوائه[8]! إنها ظروف تحاول أن تقتل كل قيم الأنا التي يجب أن تكافح لحفظها وتقديرها حتى الرمق الأخير.**

في ظروف بئيسة ينتقل الـــمُعَذَّب فيها إلى الطور الثاني من ردود الفعـــل: **طور البلادة والموت الانفعالي إزاء ردود الأفعال العقلية[9]**: فعندما تقوم بتنظيف البالوعات والمراحيض من البراز ويتطاير على وجهك شيء منها، ولا تستطيع أن تتأفف أو تهمس ببنت شفة، لأن الحارس يقف على رأســـك ينتظـــر منـــك أي اشمئزازاً لينهال عليك لطما ورفسا، وتُضْرَب فقط لأنك مصابٌ بمرض الحُمَّـــى! **هكذا تجري إماتةُ أيِّ رد فعلٍ سوي لديك!** ويتبلد حينها الرائي والمرئي من كل شي سوى **الإحساس بالإهانة!**.ففي حياة الإنسان هناك لحظات يمكن أن يُظهـــر فيها نقمته-وهي نقمة تتجه لا إلى الألم والقسوة التي لاقاها[10]-ولكن إلى الإهانة التي ارتبطـــت بها! الإهانة التي تتجاوز خدش قداسة " **مَعْـــبَد**"الجسد المتسامي! إلى خدش معبد الروح الرباني!.

البلادة[11] تصبح حيلة دفاع ذاتي ذات أسباب نَفسَـــ|ـــجِسمية يتقوقـــع فيها المرء لينكصَ إلى الأحلام البدائية/**الأحلام البيولوجية**[12] التي تدور حول الخبز

---

[8] (م.س. ص:٤١،٧٧).

[9] (م.س. ص:٤٢).

[10] (م.س. ص:٤٢).

[11] في لحظات الأزمات التي تستمر طويلا ثم تنقشع فجأة يتم استشعار درجة ذبول وتجمد المشاعر بالـــسرور، والجمال إلخ... الملحوظة عند الخارج من تلك الظروف القاسية غير المستشعر لحدث وصـــدمة زوال الأزمـــة المفاجئ في حالة من تدني درجة الانفعال لديه والتي تم ترويضها بشكل سالب، الأمر الذي يتطلب رعاية تعيـــد الفطرة السوية إلى طبائعها الإنسانية النقية(انظر: (م.س. ص:١١٩-١٢٢)..

[12] (الأحلام البيولوجية)مصطلح قمتُ بِسَكِّه قاصداً به وصف الهستيريا الساعية للتمركز حـــول الإشـــباع الأولي لحاجات قيام الإنسان الضرورية، والتي لا يتمحور حولها الوجود الغائي الاستخلافي لعمارة العالم ورعايته من قبل الإنسان، وليس في هذا دعوة للرهبنة والغنوصية والفلسفة والتصوف المهملين للجسد المقدس ربانيـــاً؛

PDF created with pdfFactory trial version www.pdffactory.com

والكعك والسجائر والحمامات الساخنة اللطيفة! إلخ... والتي يتم السعي إليها عند فقدها بـ: **الأحلام المَنَامِيَّة** لإشباعها[١٣].

والعجيب أن **الاهتمام الديني** ينمو بسرعة وبشدة في هذه الظروف، فعمق الإيمان الديني كان مدهشا لأي زائر لتلك المجموعات البشرية المعذبة ذات الظروف العسيرة، الصلوات الارتجالية تُسمع وتُرى في كل زاوية من زوايا عربة نقل الماشية التي يركبون، حيث الجوع والبرد والملابس المهلهلة[١٤]. أليس في هذا الاهتمام الديني لهؤلاء البؤساء **معنى وجدوا فيه التسامي الذي يخفف عنهم آلامهم ؟!.**

من الحب وفي الحب يكون خلاص الإنسان: بهذه الرؤية يخترق فرانكل الألم، ويتجه إلى الأمل، ففي الحب طموح غائي يجب أن يسعى إليه كل إنسان في عمق كل أزمة؛ والشِّعر، والفكر، والإيمان يجب أن يفصحوا عن هذه الغاية[١٥] التي يدورون حولها، ويتغيون قممها، ووديانها المقدسة! **فالحب هو الخاتم الذي يبصم نفسه على القلب، وهو في قُوَّتِهِ كالموت في وقعتهِ[١٦]!.**

وإنما النقد يتوجه إلى أن يصبح الآني الضروري بديل عن الغائي الضروري ففي ذلك قتل لهما جميعا وتصنيم لحال التسامي الواعي المرتفع بهما معا في خط واحد يحملهما على كف الدهشة الصاعدة والنازلة.

[13] **(م.س. ص:٥٢،٥٥، ٩١).والسعي لهذا الإشباع يحيله فرانكل إلى الخشية فيما سواه أي أن العدم! سيكون مصير من فكر فيما عدا الطعام والشراب والملبس؛ وهذا وجيه جدا في حالة السجين هنا؛ لكن ماذا نقول عن الأسباب فيمن ليس هو بمثل هذه الحال؟! الأمر الذي يستدعي التأمل في الأوضاع العمرانية والحضارية ذات السلوك الذي هو من قبيل هذا الجنس السلوكي البدائي!.**

[14] **(م.س. ص:١٧٤،١٢٢،٩٨،٨٨،٥٩).**

[15] **(م.س. ص:٦٢).**

[16] **الحب الذي هو انجذاب إلى الكمال، يتم التسامي إلى ذروته الإلهية: الله صاحب الكمال اللانهائي. فالحب إن جاز تقريبه بشعاع مبثوث من ذات باعثة صاعدة إلى هذا الكمال اللانهائي فإن الذروة تصبح هي المنظمة(**عند من رضي بها منهاجا بالخيار الإسلامي مثلا**) لكل أشكال وتعبيرات هذا الحب(**بما فيها ممارسة الجنس السوي، الذي هو أحد الأشكال الرئيسة للحب**) المتوالي نزولا من تلك القمة؛ وهنا تصبح الجوانية الإسلامية**

PDF created with pdfFactory trial version www.pdffactory.com

بواطن العمائق التي تفجر في الإنسان أشكال التعبير عن الحب من توق إلى رؤية الطبيعة، وإحساس بالجمال،(**= لكونِ جوهر الوعي لا يمكن التوصل إليه إلا بالحب**[١٧]) والتعبير عن ذلك بكل معرفة فنية منظورة أو مسموعة، أو متخيلة، فيها التخفيف من الجوانب القاسية التي يلقاها بؤساء العالم[١٨].تعطي لهم التسامي والمعنى الذي يُسْعَىَ إلى ملامسته في أصعب اللحظات، ولو بالمناغاة الواعية التي تُؤدَّىَ أحيانا كحيلة دفاع ذاتي مَرِحٌ ومُرِيحٌ من قلق الحاضر، يسمو بالذات ولو للحظاتٍ على الموقف الأليم[١٩]، فإن كل ذلك يصبح من **فنون الحياة** بحثا عن المعنى، وتوقا إلى التسامي، وهروبا من الأوضاع التي تجردك من كل شيء: سوى أنك مجرد رقم في قائمة كئيبة**!.**

الشخص الذي لا يستطيع أن يرى نهاية **"وجوده المؤقت"** لا يستطيع أن يرنو إلى هدف غائي في الحياة؛ **فالخاصية المميزة للإنسان: هي أنه يستطيع أن يحيا عن طريق"تطلعه إلى الأمام"**ومن يفقد ثقته بمستقبله يحكم على نفسه بالفناء، ويصبح عرضة للتدهور النفسي، والانهيار الجسمي والعقلي، **ففقدان الأمل والشجاعة قد يكون لهما تأثير مميت!** وزوال وجودنا المؤقت لا يحتم أن يجعل وجودنا هذا بلا معنى.

إن الطريقة التي يتقبل بها الإنسان القدر هي التي تحدد ما سيكونهُ من معنى؛ فكل شيء من الممكن أن يُؤخذ من الإنسان عدا شيئا واحدا هو آخر بوارق حريتهِ: **أن يختار اتجاههُ في ظروف معينة، أن يختار طريقهُ**[٢٠]**!** أن يختار المعنى

فاعلة في وُجُودات العالم كل أشكال التعبير الجمالي (=قيمة الجمال/أصل الفنون) ومعبرة عن الحب المطلق من غير خلط بين الذروة الكمالية الإلهية(-وحدة الوجود**)، والنسبية الجمالية الإنسانية الساعية إلى الكمالية.**

[17] **(م.س. ص:١٤٨).**

[18] **(م.س. ص:٦٥-٧٦،٨٠)**بتصرف.

[19] **لأن المعاناة حالة نسبية.**

[20] **(م.س. ص:١٠٠،٩٦،٩٤-١٥٩،١١٣،١٠٩).**

PDF created with pdfFactory trial version www.pdffactory.com

والتسامي! أن يختار الأمل كعلاج عندما تكون الآلام والمعاناة جزءا من الحياة لا تكتمل الحياة بدونها، ولا يملك الإنسان تغييرها.

السَّعيُ للـــعُثُوُر عَلَى مَـــعْنَى:

ويل لمن لا يرى في الحياة معنى!(= لماذا؟): لأن ما هو متوقع من الحيـــاة ليس هو موضوع الأهمية بالنسبة لنا[٢١]، فما يعنينا هو ما الـــذي تتوقعـــهُ الحيـــاة منا؟!(=المسؤولية).

يكون للوجود أهمية تستحق أن نحياها عندما يكون هناك معنى وهـــدف نسعى في هذه الحياة لمعايشته، وللاستمتاع بمغزاه[٢٢]، بل وأن نتخطاه دوماً دومـــاً في رحلة تسامي متعالية.

فحينما يشعر المرء أن المسؤولية الملقاة على عاتقه لن يقوم بهـــا غـــيره[٢٣]، يكون أمام دافعية داخلية للإبداع، وحافزية خارجية للإنجـــاز؛ أي أن وجـــوده يصبح لديه ذا معنى يسعى للتسامي به نحو الأفق بشوق وعظمة غير مصحوبة عند الواعي بها بأنانية آنية. فالمعاناة تصبح الصخرة التي يتحطم عليها كـــل **خـــوف** سوى الخوف من الله كما يقول فرانكل!.

أن نتقبل المسؤولية التي ترتبت على وجود الهدف يعني أن المعنى آخذٌ في تشكله سلبا كان هذا المعنى أو إيجابا. لكن كيف يصل الإنسان إلى هذه المقـــدرة

---

21 (م.س. ص:١٠٨).

22 (م.س. ص:١٠)بتصرف.

23 (م.س. ص:١١١، ١٢٦).

PDF created with pdfFactory trial version www.pdffactory.com

الإنسانية المتميزة في الخيار الوجودي[٢٤] للحياة؟ هذا ما يسعى فرانكل إلى فهمه؛ فالمحيط يوجد فيه جنس إنساني **مهذب**، وجنس إنساني **سافل**؛ وكلاهما يتغلغلان في كل الجماعات البشرية[٢٥]، ولا يوجد جنس نقي خالص، أو جنس سافل خالص**! والواجب هو اختراق الوجود بحثا عن المعنى!** ليتم التسامي به**.**

العلاج بالمعنى(Logotherapy)[٢٦] يركز على المستقبل، ومعنى الوجود الإنساني، والخروج من التمركز حول الذات، حيث يواجَهُ المرء بمعنى حياته التي ينبغي أن يتسامى إليها بعد أن يجدها، بـ**: إرادة المعنى**، هذه الإرادة التي هي قوة أولية وليست ثانوية، فهي ليست مجرد **ميكانيزمات دفاعية**، لأن الحياة أكبر من ردود الفعل؛ فالمُثل والطموح مبررات للحياة والموت وليست مجرد ردود فعل غريزية كما يصورها التحليل النفسي التقليدي، فالمعنى(**Logos=الروحي بالمفهوم الإنساني العام وليس بالمعنى الديني فحسب**) ليس انبثاقا من الوجود ذاته فحسب، بل شيء يواجِهُ الوجود، ومعنى وجودنا[٢٧]شيء لا نبتدعه وإنما نسعى لاكتشافه واستبانته**. فالضمير السليم هو أفضل وسادة!** كما تقول المأثورة الألمانية، والأخلاق الحقة هي أكثر من حبة مُنومة، أو من عقار مهدئ لعضو منفعل**!.**

---

24 (م.س. ص: ١٧). مع أن فرانكل وجودي التوجه إلا أنه متسامح وعلى خلاف الوجوديين الأوربيين فهو ليس مفكرا متشائماً، أو معادياً للدين؛ بل على العكس من ذلك تماماً: إذ إنه يرى أن العلاج بالمعنى هو ديني أيضاً في متوالياته، وفي لفتته السابقة إلى الاهتمام الديني عند المعذبين دليل على ذلك!.

25 (م.س. ص:١١٩)بتصرف.

26 (م.س. ص:)بتصرف.

27 خلافاً لجان بول سارتر.

PDF created with pdfFactory trial version www.pdffactory.com

فمهمة البحث[٢٨] عن المعنى هي أن يجد المرء المعنى في الطريق؛ وما يحدث من **صراع داخلي** ليس بالضرورة مُعبرا عن مرضٍ يستدعي العقاقير المهدئة، بل شيء من الصراع والحرارة والطاقة(**=الدينامكية المعنوية**) الداخلية دليل وبرهان على سَوِّية الإنسان، وهي من مؤشرات الصحة النفسية؛ فحينما تكون في توتر بين ما أنجزته وبين ما لا يزال عليك أن تنجزه يصبح لحياتك الحرارة التي تدفعك إلى معناك[٢٩]! وليس **وهْم التوازن البيولوجي|** النفسي، الذي يباهي به ببغاوات التقليد الحداثي من عرب اليوم وصبيانهم – **إلا ما رحم ربك**- فلو لم يكن الإنسان أعظم من الآلة لاستحق القتل الرحيم، في الفرن الرخيم!.

ما ذُكرَ سابقا هو البَلْسَم لحالة **اللامعنى** أو **الفراغ الوجودي**[٣٠] --**قلقاً ومللاً في أوضاع أصبح الفتية فيها يعلنون بألسنتهم عن الجهاد في تضييع الوقت في...؟! بعد أن فقدوا كل جذوة وعي إنساني بله إيماني يُشعرهم بالإحساس بالزمن**-- الفراغ الذي يقع ضحاياه فريسة للمسايرة والامتثال والتدجين الجماعي؛ كما هو بارز كظاهرة عالمية(=عولمية)في القرن العشرين ومطلع الحادي والعشرين، بشكل صارخ **معلنةً الإحباط الوجودي: =العصاب الجماعي، والعدمية المادية: التي لا ترى للجود معنى ! -** المنتهي غالبا **بالتعويض الجنسي** الغفل! التعويض الذي يصبح مُتفشيا عند فقدان المعنى في هذا الفراغ الوجودي.

إذن البحث عن المعنى والتسامي إليه يحاولان أن يستثيرا **روح المسؤولية** للعثور على معنى الحياة التي يجب أن يكونها الإنسان من ذاته هو هو لا من

---

[28] هذا البحث يمكن اعتباره أيضا نوع من التحليل النفساني. والفارق بين العلاجين هو أن العلاج بالمعنى يركز على القيم والمعنى لتركيز الإنسان عليهما – حسب فرانكل- خلافا للتحليل النفسي التقليدي الذي يركز على الأهواء والغرائز وإشباعها. أو ذلك التحليل المتمركز على حتمية البيئة والظروف المحيطة.

[29] في الألعاب الرياضية الواعية لأبعاد قصودها يمكن فهم هذا التوتر الحميم و المطلوب بين الذات والموضوع ؛ بل إن بعض أنواع الزهد والتنسك تشبه الألعاب الرياضية في تناغم متوالي. (انظر: م. س. ص: ١٩٢).

[30] (م. س. ص: ١٢٩ -١٤٤،١٩٧،١٨٢،١٧٠). بتصرف.

PDF created with pdfFactory trial version www.pdffactory.com

إسقاطات الغير كل الغير عليه. فالمعنى ليس نصائح أخلاقيـــة، ولا حـــتى تعلـــيم منطقي- (**المعنى أعمق من المنطق لمن تأمل!**)- وإنما حفر في الضمير: **الحفـــر في اليابسة** بدل الماء، والفارق بين المعالج بالمعنى وغيره هو الفارق بـــين **الرسَّـــام** و **طبيب العيون:** فالرسَّام يحاول أن يرينا العالم كما يراه هو! أما طبيب العيون فإنه يساعدنا أن نرى العالم بأعيننا نحن!. ومع ذلك فإن الوجود الحقيقـــي للإنـــسان ليس فيما يسمى **بتحقيق الذات**[31]فحسب، وإنما في التجاوز لهذه الذات التجاوز الذي لا يمكن أن يتم إلا من معناها والتسامي لمعنى معناها!.

والمعاناة والألم تزول بمجرد أن تكسب الحياة معنى متواليا متـــساميا مثـــل **التضحية**، فمن تُوُفِّيَت زوجته -**على سبيل المثـــال**- التي يحب وانهار مـــن معانـــاة الفراق، يمكن أن يجد له سلوانا في **التضحية بالبقاء** بعدها حاملا للرسالة، وذاكرا لذكراها! **فليس الهدف في العلاج بالمعنى تجنب الألم والحصول على اللذة، وإنما بـــأن يرى معنى في حياته!** وهذا هو السبب في أن الإنسان مستعد للمعاناة شـــريطة أن يكون لمعاناته معنى!.

المشكلات الإنسانية وليست الأعراض العصابية هي أكثر ما يواجهه الناس اليوم، وهو أكثر ما يحير الفن الطبـــ|ـــنفسي اليوم، فالأمر متعلق **بمـــشكلات فلسفية**، وليس صراعات انفعالية تحتاج إلى مسكنات كيماوية فحسب!.

الإنسان في النهاية صاحب قرار، ومسؤولية، يشكلان جوهر وجوده الفاعل ذي المعنى والفرادة المستقلة، فإحدى الخصائص المميزة له قدرته علـــى التـــسامي فوق الموقف، والظروف، وبنفس المساق يسمو بذاته ويتجاوزْها. هذا التـــسامي

---

31 وتحقيق الذات (اللذة مثلا) بقدر ما يسعى إليها الإنسان بقدر ما يخفق في الوصول إليها، فإنها ليست غرضا في ذاتها(=لذة جوفاء)- - بالإضافة إلى كونها أنانية مقيتة- - وبالتالي فليست هي المعنى الباحث عن المعنى إلى ما لانهاية كمالية لحدود صعودها في متوالية متدرجة لا غاية قصدية لإحدى حلقاتها على انفراد؛ فتحقيق الذات أثر وليس قصد. فلا يحقق الإنسان ذاته في هذا العالم إلا إذا وجد معنى.

PDF created with pdfFactory trial version www.pdffactory.com

يجعل من الصعب علينا التنبؤ بسلوك الإنسان المستقبلي[٣٢] الذي يحلو لـــسطحيي الفهم الدندنة التنجيمية حوله كي يبرزوا مقدرتهم البهلوانية بالتنجيم البدائي على عقول السذج من رعاع الأتباع، والجماهير.

اليوم أصبحت **أنسنة الطب النفسي**[٣٣](**ويا للعجب نعم الطب النفـــسي القـــائم موضوعه على إنسانية الإنسان**) ضرورة يـــُلِح عليها فحول البحث الابـــستيمولوجي في علوم النفس من أمثال فرانكل؛ فنزعة التجريب السائدة اليوم يمكن القول أنها في طريقها إلى **المتحف النفسي**، أو بعبارة فرانكل الصارمة[٣٤]" **حلمٌ قـــد تبـــدد فقط لأن كينونةَ الإنسان تعني توجههُ نحو شيء آخر غيرَ شخصه!**"؛ في إشـــارة منه إلى:(**=عالم ما وراء الذاتية**) فلكي تكون إنساناً يعني أن تكون مُطالَباً بمعنى تنجزهُ، وبقيم تحققها، وهذا هو جوهر الوجود الإنساني؛ **حتى في الرؤية الإسلامية** كما نعتقد.

وَخـــتَـــامَاً:

هنـــاك أمـــران يفرضـــان الاهتمـــام بهـــذا النـــوع مـــن الدراســـات "النفسَـــ|ـــفَلسفية"[٣٥]:

الأول: عـــمومية: تأزم أوضاع الإنسان العالميـــة، في مطلـــع القـــرن الواحـــد والعشرين، فعصر العولمة صبغ الخصوصيات الثقافية بُعدا كونياً في مرحلـــة مـــا

---

[32] (م.س. ص: ١٧٣، ١٨٨).بتصرف.

[33] (م.س. ص: ١٤٦-١٧٧).بتصرف.

[34] (م.س. ص: ١٩١)بتصرف. مع الإفادة من هذه الخبرة الكلينيكية غير الوحيدة منهجا وموضـــوعا، وهـــو رأي ماسلو(انظر: تعليقات على دراسة فرانكل، لماسلو، م. س. ص: ٢٠٠).

[35] مع أن أهم نقد وجه لأطروحة فرانكل في العلاج بالمعنى هي: عمومية التوصيف، إلا أن هذا النقد يقف على أرض متحيزة متشابكة مع المدرسة التحليلية التقليدي/ الفرويدية، وبرهان هذا التحيز: عدم وجـــود الأبحـــاث الكلية الباحثة في الظاهرة النفســـ|ـــإنسانية من غير هذه المدرسة، من أمثال أطروحات هسرل الظاهراتيـــة، الأمر الذي يكشف تحيزات النقد الإنساني/ماسلو لفلسفة المعنى وإن بشكل مصالحة ظاهرية.

PDF created with pdfFactory trial version www.pdffactory.com

بعد/وتحت الحداثة، حيثُ إفرازات اقتصاد السوق الحر تدك ضمائر الداخل فيها بحثا عن هُويته المتمايزة، الأمر الذي يجعله "باحثا عن **المعاني الغائية**" في إطارها الجمعوي الذي يتبدَّى فيه المرض الجماعي أو ما يُعرف بـ" **سيكوباثولوجيا الجماهير**"[٣٦]وتوتر الأعصاب لإنسانِ هذا الوجود الجديد، ليبحث عن وجودٍ سوِّي، إن كان ذا ضمير سوِّي**!**، " **فالإنسان مخلوق يبحث عن معنى"...كما يقول أفلاطون.**

الثاني: خصوصية: تصَوُّر كل تشكيل حضاري في رؤيته للكون ومسائل النهاية، والمصير، والغاية، والزمان، والمكان، إلخ**...** فبالنسبة للحضور الإسلامي الزماني والمكاني عبر التاريخ في التشكيل العالمي كان محفزا لأبحاث من قبيل هذا النوع من الدراسات مَضَانـُّهَا مبثوثة في مدونة التراث العربي والإسلامي فلسفيا وكلاميا؛ **ولئن كان القرآن الكريم قد أعطى المسلم به، والداعي إليه، رؤيته للوجود بما هو صائر إليه، وقادم منه، فإن ذلك لا يتقاطع هنا مع البحث المتسامي الذي تحفز إليه آيات النظر الآفاقية، والأنفُسية بنص القرآن المحكم، بل يصبح دعوة إلى التسامي الدائم حساً ومعنى**، وكلاهما منهج تحديدي لـ:" موضوع التسامي اللانهائي غاية" التي هي تلك الآفاق الآفاقية، وهذه الآفاق الأنفسية، في رحلة البحث الملموس، والمشعور، عن كل ما هو "**مُطْلَقْ**"الإطلاق الذي يخوض تجربته الوجودية الفرد لوحده من غير وسائط، حيث تكون الغاية الوصولية الفردية أمْرِيَّة في صيغةٍ خَبريَّة: **{وكلٌ آتيهِ يومَ القيامةِ فرداً}**.وتلك هي عَيْنُ الحرية الروحية والعقلية التي تجعل الحياة ذات معنى وهدف؛ والتي يمكن الاحتفاظ بها في أشد الظروف النفسية والمادية بشاعة وألم[٣٧]، الحرية التي تفجر الإبداع الذي لا ينضب**!**.

والله أعلى وأعلم.

---

36 (م.س. ص: ٢٥).

37 (م.س. ص: ٩٤،٩٥، ١٧٥)بتصرف.

PDF created with pdfFactory trial version www.pdffactory.com